حول قيود اللغة(*)

[إلى الأستاذ يوسف السباعي]

أشْعلْتَ حرباً لم تضعْ أوزارُها
تركتْ بكلِّ صحيفةٍ آثارها
وحملْتَ حَمْلَتَكَ الجريئةَ فانْبَرتْ
أقلام مَنْ خاضوا وراءكَ نارها
ورميت أختَ الضَّادِ منك بطعْنةٍ
كادتْ تدكُّ قويةً أسوارها
وخرجتَ للتجديدِ تحملُ دعوةً
أوحتْ لغيركَ أن يخوضَ غمارها
جاءتْ فظاهِرُها التقدُّمُ بينَما
أخفى البريقُ بجوفِها أخطارها
وظللتَ تهتِفُ بالتحررِ زاعماً
أنَّ التحرَر قدْ يقيلُ عَثارها(١)

(*) ٢ أيار / مايو ١٩٥٥.

(١) العثار : من عثر بمعنى الزلة، يقيله من عثاره ينهضه من زلته

عجباً..! أتُحيونَ التراثَ بقتلها
وتقوِّمونَ بهدمِها مُنهارها[1]
ورأيتُ قوماً يُرهقونَ عُيوبها
طلباً وراحوا يَطمسونَ نُضارها
سفهتموها ظالمينَ وهكذا
قدْ شاءَ أهلوها الغداةَ دمارها
والبعضُ قامَ مُشمراً عن ساعدٍ
يرمي بكلِّ عظيمةٍ أنصارها
والأزهرُ المسكين يجرعُ ظُلمكمْ
وهو الذي قد ضَمها فأجارها
ما ضرَّ منْ مَلكوا أعنَّة لفظِها
في درسِهمْ أنْ يَسبروا أغوارها
كانوا وما زالوا عليها قامةً
أنلومُ في أنْ يدركوا أسوارها
قلتمْ تَشعبتِ المسائلُ عندها
وشكا الصغارُ فحطموا أحجارها
لا تظلموا النشءَ الصغير فإنهُ
ما كان يوماً يكرهُ استظهارها
أقسمتُ لم يشكُ الصغارُ وإنما
قدْ ساءَ مزعومُ القيودِ كبارها

---

(١) إشارة إلى يوسف السباعي الذي كان يشغل رئيس المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، ومن مهماته إحياء التراث وتشجيع المواهب، فكيف يكون رئيس المجلس من المتهجمين على اللغة والهادمين لها.

إن المذاهبَ في الشريعةِ جمةٌ
والفلسفاتُ - كما ترى أطوارها
وكذا النُحاةُ تباينتْ آراؤهم
كلٌ أرادَ طريقةً وأختارها
رفقاً بعابرةِ القرونِ ورحمةً
أتريدُ منها أن تُفارقَ دارها
إني أعيذُكَ أن تكون إذا قضتْ
يوماً ووراها الثرى جَزارها

* . * . * . * . *